

كيمياء اليقين

للعالم الفقيه

سيدى أحمد بن إدريس

التحقيق

للعارف بالله تعالى الإمام الأزهرى

سيدى الشيخ صالح الجعفرى

رضى الله تعالى عنه

كيمياء اليقين

في

مُشوق المتقين

تأليف العالم الحافظ والفقيه المفسر

السيد أحمد بن إدريس

رضى الله تعالى عنه

تحقيق

سيدى الإمام العارف بالله تعالى

الشيخ صالح الجعفرى

رضى الله تعالى عنه

الناشر: دار جوامع الكلم ١٧ش الشيخ صالح

الجعفرى - الدراسة- القاهرة ت: ٥٨٩٨٠٢٩ .



كلمة الناشر

الحمد لله الذى خلق الخلق فأحصاهم عددا ، وقسم الأرزاق ولم ينسى أحدا ، سبحانه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد البشير النذير والسراج المنير سيد الأنبياء والمرسلين وإمام الزاهدين والمتوكلين ، ورضى الله - تعالى - عن آله وعترته الطيبين الطاهرين ، وعن صحابته والتابعين ومن تبعهم

بإحسان إلى يوم الدين .

أمـــا بـــعـــد

فيسر دار جوامع الكلم أن تعيد نشر كتاب (كيمياء اليقين فى مشوق المتقين) لمؤلفه العالم الحافظ الفقيه المفسر السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه ، قام بتحقيقه الإمام العارف بالله تعالى سيدى الشيخ صالح الجعفرى مؤسس الطريقة الأحمدية المحمدية وصاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف رضى الله تعالى عنه ، وهو كتاب هدفه ترسيخ اليقين لدى عباد الله المؤمنين بشأن الرزق ، وبيان مشوق المتقين : أى مبادراتهم ومسارعاتهم فى أقوالهم وأفعالهم. وهو كتاب عظيم النفع مع صغر حجمه ، ولا عجب فى ذلك حيث كان منبعه القطب النفيس سيدى أحمد

بن إدريس ، وناشره ومحققه مؤسس الطريق الجعفرية فضيلة الشيخ سيدى صالح الجعفرى الحسينى، ونسأل الله تعالى أن يعم به النفع ، وأن يجزى الإمامين خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

دار جوامع الكلم

ربيع الأول عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



مقــدمة

الحمد لله الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء، وأفاض على قلوبهم موائد الصالحين والأتقياء ، فسطروها على الأوراق للصادقين الأوفياء .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم المرسلين والأنبياء ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تملأ جميع الأشياء ، وسلم تسليما يدوم ليوم الحشر واللقاء .

أما بعد . .

فيقول [شيخنا وأستاذنا] راجى رحمة اللطيف الخبير [سيدى الإمام الشيخ] صالح بن محمد بن صالح بن محمد الجعفرى : قد اطلعت

على الكتاب المسمى (كيمياء اليقين) للإمام الشريف السيد أحمد بن إدريس - رضى الله تعالى عنه – فوجدته بحرا مملوءاً باللؤلؤ والمرجان ، من فيوضات السنة والقرآن ، فسر به قلبى وشكرت الله ربى ، فقمت بالتصحيح والطبع لجواهره الفريدة وكلماته المفيدة .

فعليك أيها الأخ السالك للطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية والطريقة السنوسية والرشيدية ، الإمعان فى تلك الكلمات الأحمدية ، لعله أن يفتح لك باب من أبوابه، فتتصل بجنابه، وتلوح عليك أنوار روحه العلية، وتشم من أعطار طيبه الزكية، فتكون ممن شاهدوه وشاهدهم، وحدثوه وحدثهم، وأرشدهم بإشاراته وبديع

عباراته .

فما غابت الأرواح عن الأرواح ، ولا قفل الباب ولا كسر المفتاح ، فإيش حالك إذا بدا لك ، ورآك فى أوحالك ، وإيش يكون الحال يا صاحب الغفلة والإهمال ؟

أما آن لك الأوان حتى تتلو القرآن ، أما فتح لك الباب حتى تقرأ الأحزاب ، أما نقلتك الواردات ، عن تلك الترهات ، وكيف ترانا؟ يا من حجبك عنا سوانا ، وأعجبك حاله، وزهوه وماله ؟

كيف أقبلت على الجيفة ، وتريد أن يقبل عليك ابن ادريس ؟ وهل بلغتك أخبار زهده ، وأنه فى حضرة التقديس ؟ وهل بلغك علو همته ؟ وهل وصل إليك نور حكمته ؟ وهل بلغك فراره عن الدنيا إلى الله ؟ وكيف أقبلت عليها وأنت بها لاه؟

وكيف سار ركبه اليمانى إلى الركن اليمانى ؟ وسار ركبك للحظوظ والأمانى ؟ وكيف قطع الحظوظ النفسية، بسيف همته العلية ؟ وما قطعتها عنك؟ وشوشت عليك وجاءتك دواليك، فهلا نظرت إليها بنظره العالى ؟ وزهدت فيها زهد أهل الكمال ؟ فما أحبه من سعى إلى ناديها ، ولا من شغلته عن ربه خضراء أراضيها .

فشمر وانهض، وقم وتهجد، وتبتل وازهد قبل هجوم الأجل، وقبل الأسف منك على ما فات وعلى ما حصل .

وكيف حالك مع الأحزاب والأوراد تنادى عليك نداء الحبيب لعلك ترق أو تجيب؟! فلا تهجر ثمرها الدانى ، وعليك بالاقبال عليها فى سائر الأزمان، فما هى إلا راحتك بعد التعب ، وغناك من

الفقر، ونشاطك إذا كسلت، وهداك إذا ضللت ، وعلمك إذا جهلت، وشفاؤك إذا مرضت ، وأمنك إذا خفت ، وسيرك إذا وقفت ، وخصبك إذا أقفرت ، وقربك إذا ابتعدت، وجندك إذا حاربت ، وتاجك إذا ملكت، وعزك إذا ذللت ، ونهارك إذا أظلمت، وأنسك إذا استوحشت ، وزادك إذا سافرت ، وحلمك إذا غضبت ، وريك إذا ظمئت ، وشبعك إذا جعت ، وراحتك إذا تعبت ، وصبرك إذا جزعت ، وجودك إذا بخلت ، وقناعتك إذا طمعت ، ووارداتك إذا وردت ، وحسن خاتمتك إذا مت ، وحجتك فى قبرك إذا سئلت، وظلك يوم الحشر إذا بعثت ، وجنتك العالية إذا فى الجنة دخلت ، أما يكفيك هذا الكلام، حتى تعود إلى نفسك بالعتاب والملام ؟

أسأل الله - تعالى - التوفيق والعفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة والمغفرة والرحمة والسلامة وحسن الختام لى ولجميع المسلمين والمسلمات ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

وكان الفراغ من هذه المقدمة يوم الاثنين ١٤ رمضان سنة ١٣٨٦ بالجامع الأزهر الشريف

كاتبـــــه

[سيدى الإمام العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ]

صالح بن الحاج محمد صالح الجعفرى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى جعل قلوب أوليائه محلا لليقين ، وأعطاهم بذلك اليقين جنة معجلة يتنعمون فيها بالراحة الكبرى فى الدنيا قبل الأخرى ، حيث كانوا على ربهم متوكلين ، قد برئوا إليه من التدبير معه حالة وجودهم كحالتهم إذ كانوا معدومين، فلما اكتفوا به كفاهم جميع المؤنة ، فلا تجد ملبوسهم ومأكولهم ومركوبهم ونحوها إلا أحسن ملبوس ومأكول ومشروب كأنهم ملوك ، وما هم إلا ملوك اليقين .

والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد المتوكلين ، وآله الذين لم يتهموا الحق فى رزق ولا غيره ، بل رضى عنهم ورضوا عنه . فلا تجدهم إلا به فرحين ، مساعفين لأقداره وفى طى أحكامه مندمجين .

أمـــا بـعـــــد

فيا أيها العبد كن واثقا بربك فى رزقك ، واجعله كنزك ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (كنز المؤمن ربه)(١) ولتكن بوعده الصادق الذى قد وعدك به من الموقنين ، فإن الاهتمام بالرزق تكذيب لله عز

---

(١) الحديث ذكره العلامة المناوى فى كنوز الحقائق ، وأشار إلى أنه تخريج الديلمى فى الفردوس .

وجل، وأنت لا تحب من يتهمك فى وعدك ويكذبك، مع إنك يمكن ذلك منك ، ويحتمل فى حقك تخلف الموعود باختيارك وبغير اختيارك ، فإنك قد يعرض لك من الأسباب ما يحول بينك وبين الوفاء بما وعدت ، ومع هذا كله لا تحب أن ينسب إليك الخلف ، فكيف بمن هو على كل شئ قدير ؟ وهو أصدق القائلين:(**ومن أصدق من الله قيلا**)[1]

والأحاديث والآيات فى الرزق والأسباب التى ترسخ فى القلب اليقين أكثر من أن يعدها عاد ، وإنما أظلمت القلوب بكثرة الهلع فعمى إنسان عين بصيرته عن إدراك ذلك ، ولا يزول ذلك إلا إذا طلعت عليها شمس يقين من صحبة عارف متمكن

(١) النساء : ١٢٢ .

فيه ، كما قال الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -: (**تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين**) فجعلت هذه الوريقات لتكون محسنة لمن صحبها والتمس أدبها بهدية الطمأنينة بالله وقتا ما ، وإذا انفتح الباب سهل الدخول لمن هدى الله (**وأولئك هم أولو الألباب**)[1] .

فافهموا إخوانى وفقنى الله وإياكم عن ربكم ما يقول ، واعقلوه بذكى العقول.

(١) الزمر : ١٨ .

قال الله عز وجل : (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، كل فى كتاب مبين)[1] .

فعبر بـ(على) التى فى لغة العرب للوجوب والثبوت ، ولم يعبر باللام التى هى للتخيير حتى يحتمل أنه سبحانه له أن يرزقها وله أن لا يرزقها ، بل قال : (عليه) يعنى حقا، كقوله: (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)[2] والحق لا يضيع حقا عليه ، والمستقر من الرزق ما يأتيها فى

(١) هود : ٦.

(٢) الروم : ٤٧.

مستقرها ومكانها الذى هى مستقرة به فينساق إليها ، والمستودع أيضا ما استودعه الحق الأرض من كل ما نبت ،كما قال تعالى : (وقدر فيها أقواتها)[1] الخ ، وإذا يريد إخراجه منها ينزل عليها الماء بمطر أو غيره فيأمرها فتخرجه .

حكمة الله تعالى فى جعل الرزق عنده

ومن رحمة الله سبحانه بنا أن جعل الرزق عنده ، فلو أعطى كل واحد منا جميع رزقه من حين يولد إلى يوم يموت من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب ونحوها لعناه غاية العناء وأتعبه غاية التعب من وجوه شتى ، فإنه إذا أراد أن

(١) فصلت : ١٠ .

يتحول من مكان إلى آخر يحتاج إلى ما يحمل عليه ذلك كله ، وأنى له بذلك ؟ خصوصا من البلاد البعيدة كالمغرب إلى مكة مثلا ، وأيضا ينغص عليه عيشه غاية التنغيص ، فإنه يعرف يقينا أنه عند انتهاء ذلك ينتهى أجله فلا يزال حزينا ، ويكسبه ذلك البخل لأنه يرى أنه ينفق من عمره ، فتغييب الحق أرزاقنا عنا لنا فيه النفع الدنيوى والدينى إذا كنا نفهم عنه سبحانه وتعالى .

من الأدلة على أن الرزق مضمون

وقوله : (كل فى كتاب مبين) الكتاب فى اللغة : الثبوت والوجوب . قال الله عز وجل :

(ورحمتى وسعت كل شئ ، فسأكتبها للذين يتقون)[1] يعنى سأوجبها ، وإلا فهى وسعت كل شئ فما فائدة ذكر : (سأكتبها) ، وقوله : (مبين) هو الذى يبين عما فيه حتى يفهم عنه ، ولا شك أنه أبان عما فيه غاية الإبانة . فكم أوقفنا الحق على ذلك من أنفسنا وأرانا إياه فى غيرنا ، فإن الواحد منا يجتهد غاية الجهد فى الجمع والادخار ويعطيه الحق لغيره ، وآخر لا يتسبب فى شئ ويعطيه رزقا هنيئا مريئا على فراشه ، فهو يقول للعبد بذلك الفعل : جميع ما فى يدك وما فى يد غيرك فى يدى ، فإن شئت أطعمتك مما فى يدك، وإن شئت أطعمت ما فى يدك للغير ،

---

(١) الأعراف : ١٥٦ .

وان شئت أطعمتك مما فى يد الغير ، فما لك شئ إن فهمت فأرح نفسك وإلا أتعبها ولم تحصل على طائل (قل إن الفضل بيد الله)[1] الخ الآية .

وفى الحديث القدسى : (**يا عبدى تريد وأريد فإن سلمت لى فيما أريد أعطيتك ما تريد، وإن نازعتنى فيما أريد أتعبتك بعد ذلك ولا يكون إلا ما أريد**)، وقال عز وجل فى كتابه العزيز : (**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**)[2] فإرادة مثل هذا لا تنفعه بل تضره، ولا

---

(١) آل عمران : ٧٣ .

(٢) الإسراء : ١٨.

يعجل له شئ لم يعجل له، فبان أن بعض العباد يعجل له من مراده ما علم الحق أنه يعجله، وبعضهم لا يريد الحق له تعجيل شئ من مراده، فلا يعجل له شئ منه لأنه قال: لمن نريد.

وفى الحديث: (**لو ركب الإنسان الريح وهرب من رزقه لركب الرزق البرق وأدركه حتى يدخل فى فمه**) .

وقال عز وجل فيما حكى فى وصية لقمان لابنه: (**يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله**)[1] أى إليك ،

---

(١) لقمان : ١٦.

يعنى مثقال حبة من خردل من رزقك يوصلها الله إليك أينما كنت وحيثما كانت ، وإلا فما ثمرة الإتيان بها (وكفى بنا حاسبين)[1] ، (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)[2] فلا مكان يواريه من الحق حتى يغيب فيه شيئا من عمله، (ووجدوا ما عملوا حاضرا)[3] ثم قال بعدها: (يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف)[4] الخ. يعنى

---

(١) الأنبياء : ٤٧.

(٢) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٣) الكهف : ٤٩.

(٤) لقمان : ١٧.

ليكن همك ما خلقك ربك من أجله وأمرك به لا ما ضمنه لك من الرزق ، كما قال فى الآية الآخرى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، لا نسألك رزقا)[1] يعنى: لا نكلفك رزقك (نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)[2] فلما أمر سبحانه بالصلاة والاصطبار عليها ورد سؤال حالى كأنه قيل: يارب إذا اشتغلنا بهذا ونحن محتاجون إلى ما تقوم به ذواتنا من الرزق ضعنا، فقال سبحانه: (لا نسألك رزقا) ومن سوء أدبنا مع ربنا عبر عنا بالدواب التى خلقت من أجلنا فقال عز وجل: (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله

---

(١) ، (٢) طه: ١٣٢.

يرزقها وإياكم)[1] وقدمها فى الرزق علينا لحسن توكلها على ربها ، فهو يقول : يا أيها الزاعمون أنكم مؤمنون بى ومصدقون بوعدى ، هذه دواب خلقت من أجلكم ومسخرة لكم الأنسى منها والوحشى منها متوكلة على لم تشتغل بتدبير رزقها بل تأخذ مما أعطيتها ما يسد جوعتها ، ولا تدخر غيرى ، فأى طائر أو دابة فى الأرض فى عنقها جراب تخزن فيه رزقها ؟ وها أنتم ترون الكلاب إذا وجدت رزقها من فريسة ميتة أو غيرها تأكل فإذا شبعت تركتها وذهبت، وهكذا النسور ، وكذلك الطيور إذا وجدت حبا أكلت منه قدر شبعها وتركته ، وأنتم إذا وجد الواحد منكم شيئا

(١) العنكبوت: ٦٠.

ملقى بالأرض أخذه وجعل ينبش فى الأرض ويبحث حتى يستأصل مادته ، فكم هذا السوء فيكم ؟ أفلا ترجعون إلى ربكم ؟ وتكتفون بحسن تدبيره ولا تنازعونه وتخاصمونه وتؤذونه ورسوله بالشكوك فى وعد الرزق وغيره ؟ وإذا رضيتم عنه رضى عنكم وأرضاكم .

المؤمن همه الآخرة

وفى الحديث : (من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا راغمة، ومن جعل الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين

عينيه ولا يأتيه منها إلا ما كتب الله له) والآخرة والجنة حيثما ذكرتا فالمراد منهما عند أهل الله مجاورة الله ورؤيته.

وفى الحديث أيضا:(من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله أمر دينه ودنياه ، ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله به فى أى واد هلك). وفيه أيضا:(من أصبح وهمه غير الله فليس من الله).

حول تفسير: (وفى السماء رزقكم ..)

وأكبر من ذلك قول الله عز وجل:(وفى السماء رزقكم وما توعدون، فورب

السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (١) والمراد بالسماء ما علا إلى ما لا نهاية له، والمراد بالأرض ما سفل إلى ما لا نهاية له، فيشمل السحاب فإنه مسخر بين السماء والأرض، والمطر إذ ينزل منه لا من السماء التى هى محل القمر والنجوم، وقوله: (وما توعدون) يعنى من أمر الرزق وغيره.

وفى الحديث: (ضجت الملائكة إلى ربها فقالت: ويح بنى آدم أغضبوا ربهم بكثرة الهلع حتى أقسم لهم على الرزق)، وليتنا بعد القسم إطمأننا وسكنا بعد ذلك ،

---

(١) الذاريات : ٢٢-٢٣.

وقوله:(مثل ما أنكم تنطقون) وهل يشك أحد فى نفسه هل هو ناطق أم لا؟ فكذلك الرزق لا ينفك عن الإنسان كما لا تنفك عنه الناطقية التى هى حقيقة من حقائق ذاته.

وقرئ: (وفى السماء أرزاقكم) بالجمع

وقرئ (رازقكم) بصيغة اسم الفاعل.

والمعنى أن الحق فى سماء العلو الذاتى ، فإنه ظهر فى صورة النار لموسى عليه السلام فى الأرض لا فى السماء، فالعلو بحسب المقام والمكانة لا بحسب المكان ، فأينما ظهر فهو فى سماء علوه ، فهو بمعنى العلى، إذ كان ولا شئ معه لا سماء ولا غيرها. ففى الحديث : (كان ربك فى سماء ليس فوقه هواء وليس تحته هواء)، لأن

الفوق والتحت من جملة خلقه ، فالحق خلق الجهات فهى المفتقرة إليه ولا يفتقر هو إلى شئ. فالجهة والزمان إنما يميزان العبد ويتميزان به لا غير، كان الله ولا شئ معه وهوالآن على ما كان عليه.

وحاصل معنى هذه القراءة هو معنى: (وهو الله فى السموات وفى الأرض)[1] أى ما ثم غيره ، فإنه الأول والآخر والظاهر والباطن (فأينما تولوا فثم وجه الله)[2] ومن كان سيده عليا كبيرا كيف يهتم برزقه ؟ فإن من كان مالكا جهة من الأرض لا يهتم عبده برزق نفسه

---

(١) الأنعام : ٣.

(٢) البقرة : ١١٥ .

ولو كان الناس يموتون جوعا، مع أنه قد يصبح
سيده فقيرا أو ميتا فكم ملك أصبح معزولا؟ وغنى
أصبح عائلا ؟ فكيف يهتم برزقه من كان سيده له
ملكوت كل شئ وبيده خزائن السموات والأرض إن
لم يكن هو قطع نسبته منه وادعى أنه مالك نفسه
ثم عبدها لأخس عبيده الذين خلقوا من أجله ،
وهى الدنيا (**تعس عبد الدنيا ، تعس عبد
الدينار، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد
الخميلة ، تعس عبد الخميصة ، تعس
وانتكس ، إذا شيك فلا انتقش**) فسماهم
عبيدا لهذه ولم يعلم أن أحدا منهم يسجد لها
ويقول لشئ منها : يا إلهى أو يا ربى أو يا سيدى،
فعين شغله به ونسيانه ربه هو عين اتخاذه ربا من

دون الله ، مع أنه يعلم يقينا أنه ليس له من ذلك
إلا ما يسد به جوعته، أو يوارى به عورته أو
يزيل بركوبه إعياءه، أو مسكن يسكنه من الحر
والبرد ، والآخر وهم يطمئن نفسه به ويلذذها ،
وتلذذه تلذذ بالوهم ، واطمئنان قلبه به اطمئنان
بالعدم ، وهو يجر لنفسه بذلك التلذذ والاطمئنان
البلاء المبين ، قال الله عز وجل : (**إن الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا
غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا
يكسبون**)[1] وقال فى الذين اطمأنوا بربهم :

---

(١) يونس : ٧ ، ٨ .

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)[1] فانظر إلى أين مآل هذا ؟ وإلى أين مآل هذا؟

بيان حال المعتمد على الدنيا

فمن اعتمد على شئ من الدنيا سواء أكان فى يده أو ليس فيها معتمد على بيت العنكبوت كما قال الله عز وجل : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت . اتخذت

(١) الرعد : ٢٨ ، ٢٩ .

بيتا)[1] فكل من اعتمد على غير الله اعتمد على بيت العنكبوت ، وبيت العنكبوت لا يقى من حر ولا برد وإذا جاءته أدنى ريح أخذته ولم تبق له أثرا.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(من أبل عند فساد الزمان إبلا واتخذ كنزا أو عقارا مخافة الدوائر لقى الله سارقا غالأ) .

حال النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع الدنيا

ولما مرض - صلى الله عليه وآله وسلم- مرضه الذى خرج فيه من الدنيا كان عنده سبعة

(١) العنكبوت : ٤١ .

دنانير وضعها عند بعض أهله فكان كلما أفاق من سكراته قال : (ائتونى بالدنانير) فيغمى عليه قبل أن يؤتوه بها ، فلما أتوه بها أمسكها فى يده اليسرى - صلى الله عليه وآله وسلم - وصار يحركها بسبابته اليمنى ويقول (ما ظن محمد بربه لو لقيه وعنده هذه ؟) يعنى معتمدا عليها أو تاركها لأهله يعتمدون عليها ، فأمر بها فتصدق بها ، وترك أهله على الله لم يطمئن عليهم إلا بالله ، ولم يكلهم إلى شئ يتركه لهم ، والحال أن درعه مرهون عند يهودى فى عشرين صاعا من الشعير ، ففعل هذا وتوكل فى قضاء دينه على الله تعالى .

وآخر الأمر من رسول الله - صلى الله عليه

وآله وصحبه وسلم - هو السنة التى أبقاها فى أمته ، فالفطن الحاذق من اتبع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى هذا وأمثاله ، وأما متابعته فى الركوع والسجود وحدها فهذا يقدر عليه كل أحد، وليس فيه كبير فضل ، إنما متابعته فى أخلاقه الكاملة التى أثنى الله عليه بها بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم)[1]

من أخلاق النبى صلى الله عليه وآله وسلم

فمنها كونه رحمة للعالمين كلهم من الجن والإنس والدواب وغير ذلك فضلا عن المؤمنين

---

(١) القلم : ٤ .

الذين وصفه الله بالرأفة والرحمة عليهم فقال :
(بالمؤمنين رؤوف رحيم)[1] فكان لا يواجه أحدا بما يكره .

ومنها كونه عفوا كما أمره الله بقوله :
(فاعف عنهم واستغفر لهم)[2] يعنى اعف عنهم فى حقك فإنهم لم يقوموا به ، واستغفر لهم فى حقنا فإنهم لا يقدرونا حق قدرنا ، أى تب عنهم ، فمن يريد اتباعه - صلى الله عليه وآله وسلم - فى ذلك يتوب عن جميع المؤمنين بالنيابة عنهم .

(١) التوبة : ١٢٨ .
(٢) آل عمران : ١٥٩ .

ومنها كونه ذاكرا لله على كل أحيانه ، لا بد أن تدخل عليه التوبة قهرا عليه وإن أباها وهذا العفو أمره كبير جدا ، فلذلك قال الله عز وجل :
(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)[1] .

(١) فصلت : ٣٤ ، ٣٥ .

حول تفسير

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة)

ومعنى (لا تستوى الحسنة ولا السيئة) أى لا يستويان فى المجازاة ، فمن عمل معك سيئة فلا يستوى مجازاتك له بسوء مع مجازاتك له بالإحسان وإنما سمى الإحسان لمن أساء إليك جزاء لأنه فى الحقيقة أحسن إليك لكونه ألبسك حلة الاسم الصبور والعفو والحليم ، فلو لم يصدر منه إساءة ما نلت أنت هذه المنزلة ، فقوله : (ولا السيئة)، لفظ لا الثانية للأولى توكيد لفظى فهو يقول : لا تستوى الحسنة

والسيئة . وقوله : (ادفع بالتى هى أحسن) يعنى السيئة كقوله فى الآية الأخرى : (ادفع بالتى هى أحسن السيئة . نحن أعلم بما يصفون)[١].

حول تفسير

(وجزاء سيئة سيئة مثلها)

وقال فى أخرى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[٢] فجعل الجزاء بالسيئة سيئة ، وقوله: (مثلها)، يعنى لا أزيد ، والمثلية متعذرة فأنى له بالميزان فى ذلك الوقت وهو مملوء بالغضب حتى

---

(١) المؤمنون : ٩٦ . (٢) الشورى : ٤٠.

يدخل عليه من الألم قدر الذى أدخله عليه سواء بسواء ، ولما كانت المثلية متعذرة علمنا أن الله ذكر هذا الشرط شرط المثلية الذى لا يوجد ليفهمنا ترك المشروط بذلك الشرط وهو الجزاء بالسيئة ، فهو يقول : إذا كنت لا تقدر أن تأخذ حقك من غير زيادة لا يحل لك أن تزيد فتؤاخذ بذلك ، فلأن تلقى الله مظلوما خير لك من أن تلقاه ظالما ، فالواجب ترك المجازاة بالسيئة إذ انتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم .

وأما العفو عنه فى الدنيا وفى الأخرة فهو الرتبة العليا التى هى خلق النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأكابر الرسل والمقربين فذلك أمر آخر ، فمن هداه الله إليه هداه إلى الغاية الكبرى من كمال الإيمان ، وحاصله أنه ليس له إلا أحد

أمرين : إما أن يترك الجزاء بالسوء ويطلب حقه فى الآخرة ، وإما أن يعفو ويصير أجره على الله ويكون من ورثته - صلى الله عليه وآله وسلم - مع أن طلبه لحقه فيه عليه غاية الضرر لو فهم لأن الله يعامل العبد بوصفه وخلقه الذى يعامل الخلق به (سيجزيهم وصفهم)[1] وفى الحديث القدسى: (**يا عبدى أنت تدعو على من ظلمك ومن ظلمته يدعو عليك فإن شئت استجبت لك واستجبت عليك وإن شئت أخرتكما حتى تسعكما رحمتى**) ، فإذا اختار أن يستجاب له ويستجاب عليه ربما لا يرجع

(١) الأنعام : ١٣٩ .

كفافا ، فإنه أول المظلومين الصلاة فإن العبد إذا صلاها فأساءها خرجت مكسوفة النور وهى تقول: (ضيعك الله كما ضيعتنى) . وكذلك الدابة إذا حملها فوق طاقتها وجوعها أو عطشها أو نحو ذلك ، فمن عفا عفى عنه ، ومن سامح سومح، ومن أخذ الحق أخذ منه الحق ، ولا يلوم العبد إلا نفسه ، فالأمر بيده إن شاء وسع وإن شاء ضيق والسلام .

وأيضا سميت المجازاة بالسيئة سيئة لأنها تسوء صاحبها إذا نادى المنادى يوم القيامة : ليقم من أجره على الله وليدخل الجنة بغير حساب فتقول الخلائق : ومن الذى أجره على الله ؟ فيقال لهم : العافون عن الناس ، فيقوم كذلك

سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، لا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان لما عفى عنهم ، فإذا رأى هذا من لم يعف تحسر وعض على يديه، وقرع سن الندم حيث لا ينفعه ذلك .

ومن أكبر الضرر على من يطلب حقه كونه يصير مخاصما للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - هذا يجر إلى جهة وهو يجر إلى ضدها، فإنه عليه السلام يشفع فى أمته ويحب لهم أن يتقدموا إلى الجنة ، وهذا ماسك فى ظالمه يجره إلى وراء ، فانظر إلى أى شئ فعله مع الرسول عليه السلام وهو يجر إلى قدام وهذا يجر إلى وراء ، وهذا هو النزاع والمخاصمة الظاهرة فافهم .

من أخلاقه

صلى الله عليه وآله وسلم

ومن أخلاقه - صلى الله عليه وآله وسلم- الاعتماد على الله وحده ، والتوكل عليه ، وترك الأمر كله فى يده كما هو فيها من غير أن يختار غير ما اختار ربه له ، والوقوف عند حد عبوديته من غير أن ينازع الحق فى اسمه الملك ، واسمه الغنى لمحله،والتزام فقره الذى وصفه الله به بقوله: (**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله . والله هو الغنى الحميد**)[1] وكان-

(١) فاطر : ١٥ .

صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : (**الفقر فخرى وبه أفتخر**) فجعل الفقر الذى هو حطة عند من لا عقول لهم ، فخره ، ولما كان يذكر الأمور العالية من كونه سيدا ونحوه يقول : (**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**) فافهم .

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : (**لكل نبى حرفة وحرفتى الفقر والجهاد**) يعنى الفقر إلى الله الذى هو عين الغنى بالله ؛ لأن الفقر هو فقد الشئ ، فإن كان الشئ المفقود من القلب هو الله فذلك هو المذموم الذى ذمه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بقوله: (كاد

الفقر أن يكون كفرا)[1] وقرنه بالكفر واستعاذ منه بقوله : (وأعوذ بك من الكفر والفقر) وإن كان المفقود من القلب ما سوى الله فذلك هو حرفة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وذلك هو الغنى المطلق ، فإن لم يكن لشئ عليه حق فيكون مطالبا للأشياء بحقوقها فإن من كان غنيا بالأشياء كان عليه من الحقوق للأشياء على قدر ما فى يده منها ومن كان كذلك لايقدر أن يدخل حضرة الحق الخاصة ؛ لأن الأشياء تطلبه بحقوقها فتمسكه ، وقد قال - صلى الله عليه وآله وسلم : (دعه فإن لصاحب الحق مقالا).

---

(١) الحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وقد خرجه أبو نعيم فى الحلية .

بيان أن الفقر مع الصبر أفضل من الغنى مع الشكر

فمن ادعى أن الغنى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر فقد ضاد النصوص الشرعية كلها، قال الله عز وجل : (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[1] فرددناه إلى الله ، فقال الله عز وجل : (واتبعوه لعلكم تهتدون)[2]

---

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) الأعراف : ١٥٨ .

وها أنت ترى حاله - صلى الله عليه وآله وسلم - الحاكم على الأحوال كلها حتى أحوال الأنبياء والمرسلين فإنه سيد ولد آدم ، وما أحسن ما أجاد بعضهم إذ قال فى هذا المعنى :

تنازع قوم فى الفقير وفى الغنى
ودام لهم فى الحالتين جدال

فقيل لهذا عفة وتصبر
وقيل لهذا عطفة ونوال

وحال رسول الله أعظم شاهد
وشاهد ما فى الحال ليس يقال

وقد تحلت وهى الأثيرة عنده
يمين له من كدها وشمال

تشاكت إليه ما تلاقى فردها
عن المفرد المقصود وهى حلال

إلى أن قال فى آخرها :

فآه على حال الفقير فإنه
مقام ولكن ليس فيه رجال

أى ليس ثم من يدق خيمته فى الفقر ويختاره كما أختاره - صلى الله عليه وآله وسلم-.

وقوله: (لعلكم تهتدون) يعنى إلى ما اهتدى إليه ، والذى اهتدى إليه هو: (ووجدك ضالا فهدى)[١] أى هداك إليك حتى علمت نفسك أن حقيقتها هى الحق، قال الله عز وجل: (إن الذين يبايعونك إنا يبايعون الله)[٢] .

---

(١) الضحى : ٧ .

(٢) الفتح : ١٠.

والقائل بتفضيل الغنى مع الشكر لم يتدبر القول، فإنه إذا تأمل معنى هذا القول وجده مسفها لفعل الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- فهو يقول باللازم: الرسول ترك الأفضل واختار الأخس، وهذا ليس من كمال العقل. فانظر هذا القول ما أهجنه وما أفضحه وما أشنعه وما أبشعه وما أقبحه.

فتبين أن الفقر أفضل. إذ لا أحد يقدر على الشكر مع الغنى كما يقدر عليه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ، ومع ذلك هرب إلى الفقر علما منه بفضله، وإلا فلو كان بيده الدنيا كلها ما صرفها إلا فيما يرضى الله ورسوله قطعا.فقد طلع النهار ان كان ثم أبطال والسلام.

فكيف يثق- صلى الله عليه وآله وسلم- بما

يعطاه من العرض الفانى ويترك الاطمئنان بما فى يد ربه عز وجل وهو القائل: (لايؤمن أحدكم حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه مما فى يده) ، وهذا الحديث فيه من الوعيد لمن لم يثق بربه فى رزقه ما لا مزيد عليه ، فإنه نفى عنه الايمان وهو كذلك، لأنه كذب الله فيما وعد به ، وليس للكفر معنى غير تكذيب الله ورسوله ورد ما جاء به رسوله من عنده.

وإذا قلت هذا الكلام لواحد ممن يدعى العلم وليس متحققا بحقائقه أتاك بالتوحيد اللسانى ، وقال لك من الأسباب ما تنكر ونحو ذلك، وهو لم يتفطن إلى كونه منهيا عن أن يثق بما فى يده ويعتمد عليه فضلا عن السبب الذى لا يدرى هل

فى علم الله يجئ منه شئ أم لا.

واختيار رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- الفقر للاقتداء به كما قال- صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال -:(**ما أصبح فى آل محمد صاع من طعام ولا صاع من تمر ولا صاع من شعير**) ، وما قال ذلك محمد سخطا لرزق ربه ولكن لتقتدى بمحمد أمته، فلو اختار الملك والغنى لكان كل منا يطلب الملك ويقول للاقتداء ، وها هو مع أنه اختار الفقر كيف صار التنافس فى الدنيا والتزاحم فى الملك، وهذا كله من كونه - صلى الله عليه وآله وسلم- رحمة للعالمين.

من أخلاق المؤمنين

الثقة بما عند الله

وانظر إلى أخلاق المؤمنين الذى هم عند الله مؤمنون: جاء سائل إلى سيدنا على بن أبى طالب- رضى الله تعالى عنه- فسأله، فأرسل على- رضى الله تعالى عنه- إلى فاطمة- رضى الله تعالى عنها- قال له: قل لها تعطيك درهما من الدراهم الستة التى عندها فجاءها فقال لها ذلك. فقالت له: قل له إنه ترك كل واحد منها فى حاجة، فجاءه، فقال له ذلك، قال له: إرجع قل لها تعطيك الدراهم الستة كلها ، فإنى سمعت رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول:(**لا يؤمن**

أحدكم حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه مما فى يده) فجاءها فأعطته إياها، فجاء بها إلى على، فتصدق بها - رضى الله تعالى عنه-، وعما قليل إذ مر رجل ببعير يقتاده، فناداه على: يا صاحب البعير البيع البيع؟ قال له: نعم، قال له: بكم تبيعه؟ قال: بكذا وكذا ، قال له : أنخه على أنا نؤخرك بثمنه شيئا ، فأناخه وذهب ، فجاء رجل فطاف بالبعير فقال : البعير للبيع ؟ فأجابه على رضى الله تعالى عنه : نعم ، قال : بكم؟ قال: بكذا ، فزاد على على الثمن الذى اشتراه به ستين درهما ، قال : أخذته ، فعد له الثمن الذى اشترى به وستين درهما ، فأرسل إلى البائع الأول على أنه رجل معروف ، فأوفاه ثمنه وأخذ الستين درهما

إلى داره ، وجاء إلى فاطمة يخرخش فيها، فقالت له ما هذا ؟ قال : هذا ما وعد الله به على لسان رسوله : (الحسنة بعشرة أمثالها) أعطينا ستة جاءنا ستون ، فبينما هم كذلك إذ جاء رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فسلم عليهم فأذن له فدخل ، فلما استقر به المجلس حكى له الحكاية ، قال له : (يا على أتدرى من البائع ؟) قال : لا ، قال : (جبريل) ، قال : (أتدرى من المشترى؟) قال: لا ، قال : (ميكائيل) ، ومجئ جبريل فى صورة رجل معروف فى هذه القصة كمجيئه فى صورة دحية للبس ، فانظر ما أحسن الوثوق بالله ، لما وثق

على رضى الله تعالى عنه بالله خدم له الملائكة فى رزقه ، جبريل جاء بجمل من الغيب حلالا طيبا وميكائيل جاء بدراهم من الغيب .

وقيل لبعض الأولياء بمصر: السعر قد غلا، قال : لو رجعت السماء نحاسا والأرض رصاصا وأهل مصر كلهم عيالى ما أبالى من هم الرزق ، يعنى فلا السماء تمطر قطرة ولا الأرض تنبت عشبة ، فسمع بمقالته آخر فقال: لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا والخلق كلهم عيالى ما أبالى من هم الرزق .

* * *

حكايـــات

الحكاية الأولى :

جاء رجل إلى بعض الأولياء بالمغرب فقال له: أريد الحج وما عندى زاد ، قال له : هو الرزاق واحد فليس هنا واحد جواد وهناك آخر بخيل... الذى يرزق هنا هو الذى يرزق هناك ، ثم قال له: قم فاذهب هكذا فى الشمس، قال : مرحبا. فقام يمشى ، قال له : اترك ظلك لا يذهب معك ، قال له: كيف أعمل له حتى أقطعه عنى؟ قال : أجهد جهدك ، قال له : لا يمكن ! قال: هكذا رزقك لازم لك لا ينفك عنك كما لا ينفك الظل من الشخص إذا كان فى النور هكذا .

* * *

الحكاية الثانية :

جاء رجل إلى بعض الصالحين فشكى إليه كثرة العيال وقلة ذات اليد ، فقال: اذهب إلى بيتك فكل من وجدت رزقه عليك فأخرجه من بيتك ، وكل من وجدت رزقه على الله فدعه مكانه، فقال له : ما منهم إلا ورزقه على الله ، قال : هو ذاك ، يعنى له مرتين آه أه من ثقل حمل ليس على ظهرك منه شئ .

* * *

الحكاية الثالثة :

كان رجل من الصالحين فى المسجد عاكف فيه لا يخرج منه لتدبير رزقه ولا غيره، فجاء إمام ذلك المسجد يوما فقال له : من أين تأكل ؟ فقال له : أنت شاك فى وعد الله لا تصح الصلاة خلفك. لا أمكث حتى أقضى جميع الصلاة التى صليت خلفك .

* * *

الحكاية الرابعة :

كان رجل من الصالحين فى مسجد كهذا المتقدم فجاءه إمام ذلك المسجد ، فقال له : من

أين تأكل ؟ قال له : هنا رجل يهودي تكفل لى كل يوم برغيفين رغيف عشاء ورغيف غداء، قال له : إذن لا بأس ، فلما أدبر ناداه فجاءه فقال له : يا ضعيف اليقين ! : رضيت لى بذمة اليهودى ولم ترض لى بذمة أرحم الراحمين الذى له خزائن السموات والأرض ، لا ألبث حتى أصلى جميع الصلاة التى صليت خلفك .

* * *

الحكاية الخامسة:

كان رجل من الصالحين كهذين أيضا لا يخرج من المسجد ، فقال له رجل : من أين تأكل؟ قال له : (**ولله خزائن السموات والأرض**

ولكن المنافقين لا يفقهون)[1].

الحكاية السادسة :

كان رجل منهم أيضا بالمغرب كهؤلاء لا يخرج من المسجد ، فقال له بعض الناس : من أين تأكل ؟ قال : من عند الله . قال له : يدلى لك بالقفة ؟ قال له : العالم كله قفافه يدلى بما شاء، فجاءه مرة فقال له : يا فلان : عندى حاجة وقعت منى فى البئر أريدك أن تذهب معى وتخرجها إلى ، قال له : مرحبا ، فذهب معه فدلاه فى بئر فى بيته بحبل فتدلى حتى إذا بلغ قعرها قال له : فك الحبل ، ففكه ، قال له : إجلس مكانك حتى يدلى لك بالقفة ، فذهب الرجل إلى السوق فمكث بدكانه

---

(١) المنافقون : ٧ .

ما شاء الله يبتاع ثم رجع إلى بيته ، فكانت امرأته أرسلت الجارية فاشترت طعاما يسمى السفنجة من ألذ الأطعمة فى المغرب وجعلتا عليه السمن والعسل لتأكلاه ، فلما وضعتاه بين أيديهما فإذا بدق على الباب ، فما عرفتا أين تضعانه منه فأمرت الجارية أن تجعله فى قفة وتربطها بحبل وتدليه فى البئر ففعلت ، والرجل قاعد والقفة على رأسه فأخذها وأخرج الآنية وجلس الرجل يأكل حتى شبع ، ثم وضعها مكانها فى القفة ، فلما خرج الرجل جاءت الجارية فأخرجت قفتها ، فلما جاء الرجل بالعشى جاء فاطلع على صاحبه وقال له : السلام عليكم ، فقال له : وعليك السلام ، قال له: دلى لك بالقفة ؟ قال : نعم دلى لى بالقفة ، فذهب الرجل إلى الجارية فسألها فأخفته الخبر فقال لها:

لأوجعنك ضربا أو تخبرينى ، فحكت له أن الست أرسلتنى أخذت سفنجا وسمنا وعسلا فلما وضعناه بين أيدينا وجعلنا عليه السمن والعسل سمعنا الدق بالباب ، فأردنا أن نخفيه منك فما وجدنا مكانا يصلح لذلك غير البئر فجعلناه فى قفة ودليناه بحبل فى البئر ، فقام إلى ذلك الرجل الصالح فأخرجه واعتذر إليه .

وحكايات الرزق بغير تدبير لا حد لها ولا حصر ، وأظهر من أن تحتاج إلى تبيين ، وإنما من لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، فها نحن نرى الحيتان فى البحر ، والصيد فى الفلاة سمينا ولا زرع عنده ولا تجارة ولا مال ورثه عن أبيه ولا جده ولا هو معاشر للناس ومجاور لهم حتى يأخذ مما عندهم كالفأر .

حكاية النملة مع سيدنا
سليمان عليه السلام

ومن أعجب الحكايات ، ما قالت النملة لسليمان عليه السلام لما أتى على وادى النمل: (**قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها**)[1] .إلى آخره ، والذى أعجبه منها فأضحكه كونها نزهته عن الظلم هو وجنوده بقولها: (**وهم لا يشعرون**) يعنى لا يتعمدونكم بالوطء .

(١) النمل : ١٨ ، ١٩ .

والحطم فى اللغة : الهلاك ، وهو فى الظاهر معلوم أى الهلاك الدنيوى ، وفى الباطن الهلاك الأخروى ؛ لأنه لما سألها سليمان عليه السلام : ما أردت بقولك: (**لا يحطمنكم سليمان وجنوده**) ؟ قالت : قلت لهم ذلك لئلا يروا ما أنت فيه فيزدروا نعمة الله عليهم فلا يشكرون ما هم فيه فيهلكون ؛ لأنهم إذا رأوا صغر أجسامهم وضعفهم رأوا عرشه الذى هو فيه على كبره ، والأشجار المصطنعة فيه من النخل وغيره : الساق ذهب، والأغصان در ، والثمار جواهر ويواقيت وزمرد وزبرجد والماس ، وغايته فيه من كل لون على صفة عجيبة لم يكن لها فى الدنيا نظير ، والطيور تظلله بأجنحتها مالئة الأفق ، والجن

والإنس حوله ، والخيل المسومة التى لا يحصيها إلا الله، وكثرة النعم ، رأوا أنفسهم أنهم ليسوا منعما عليهم بشئ فكفروا نعمة ما هم فيه فهلكوا .

ثم إن النملة جاءت بنبقة تدحرجها حتى أقامتها بين يدى سليمان عليه السلام وقالت له: هذه هدية يانبى الله ، والهدية على قدر مهديها لا على قدر من تهدى إليه ، فأعجبه حسن أدبها ومنطقها ، فقال لها : سلينى من ملكى هذا ما شئت أعطك إياه ، قالت له : أنت عاجز والسؤال من عاجز غير جائز ، قال لها : لا بد أن تسألينى شيئا. قالت : لا بد ؟ قال : لا بد ، قالت له : زد فى رزقى شيئا - يعنى على الذى كتبه الله لى - قال لها : هذا ليس عندى، قالت: ما قلت لك أنت عاجز؟ قال : سلينى غير هذا ، قالت له: زد فى

أجلى شيئا - تعنى إذا كنت فى علم الله وكتابه أموت اليوم مثلا أخر عنى إلى الغد - قال: هذا ليس فى يدى، قالت له: ما قلت لك أنت عاجز؟ وهو عليه السلام لا يملك هذا لنفسه فلا يقدر أن يزيد فى رزق نفسه ولا فى أجل نفسه فكيف يملك لها.

بيان أن الرزق مقسوم

فالرزق مقسوم ، لو اجتمع الأولياء كلهم والملائكة كلهم والأنبياء كلهم والمرسلون كلهم ما قدروا أن يزيدوا فيه لأنفسهم شيئا على القدر الذى كتبه الله تعالى ، فضلا عن أن يزيدوه لغيرهم ؛ لأنه ليس فى أيديهم ، بل فى يد الله عز وجل وحده .

وهذا سيدهم أجمعين محمد - صلى الله عليه و آله وسلم- قال الله له: **(قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا)**[1] فكيف بغيره؟ ولما قال له رجل : ادع الله لى أن يزوجني، قال له لو دعوت لك أنا وجبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش ما تزوجت إلا المرأة التى كتبت لك، فأمر الرزق مفروغ منه.

وقال- صلى الله عليه وآله وسلم- لرجل من أصحابه: **(ما قدرْ لماضغيك أن يمضغاه فلابد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولاتأكل بذل)** أى كله وأنت عزيز النفس ، غير

(١) الأعراف : ١٨٨.

متملق فيه إلى أحد ، متعلق بالعزيز جل جلاله، مشغول القلب بربك ، متوكل عليه ، مشتغلا بما خلقك ربك من أجله، فاخضع للعزيز الحكيم، ولا تخضع للذليل الذى لا يملك شيئا ولا يعطى إلا إذا سخره المعطى بيده جل جلاله، بل أنت وإياه فى ذلك واحد يجرى عليه رزقه من عند الله ، كما يجرى عليك بلا فرق، ولا تسأل غير ربك وإن أجرى الله لك على يده شيئا لا بالمقال ولا الحال تكن سيد الرجال، والذى يأكله بذل هو الذى يتملق فى رزقه إلى المخلوق كائنا من كان ولو كان نبيا أو ملكا لأنه ليس فى يده شئ منه.

كيف تشكر من أسدى إليك معروفا؟

وعليك إذا أسدى إليك أحد من المخلوقين

أن تشكره لكونه آنية مد الله لك بها، لا على أنه معط ولو نبيا أو ملكا، وشكره هو الدعاء له، قال- صلى الله عليه وآله وسلم-:

(من أسدى إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء) ،

فهذا هو معنى شكر الواسطة لا غير، وقوله **(أبلغ فى الثناء)** لأنه أحاله على الله الذى يقدر أن يكافئه ولم يكله إلى مكافأته هو له ، لأنه إذا كافأه هو يكافئ على قدر عجزه وضعفه، والحق يكافئ على قدر قوة كرمه وقدرته، هذا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: فإنك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضعف وعورة وعجز، وأما الثناء عليه بمعنى مدحه ورؤية أنه معطٍ، فهذا

منهى عنه، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: **(لا ترضين أحداً بسخط الله ، ولا تمدحن أحداً على رزق الله، ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتك الله).** فافهم الفرق فإنه ظاهر لمن هداه الله سواء السبيل.

الخلق آلات الرزق

وإذا تحقق لك أن الرزق كله فى يد الله سبحانه وحده، وماأجراه على يد المخلوقين فهو فى يده فى عين كونه فى أيديهم، فهم وما فى أيديهم الكل فى يد الله، فلا تعول إلا عليه، لأن الرزق نعمة وكل نعمة منه **(وما بكم من نعمة**

فمن الله)[1] أى لامن غيره، قال - عليه الصلاة والسلام - فيما يرويه عن الله - عز وجل - : يا موسى إذا رأيت النعمة منى فقد شكرتنى حق الشكر، يعنى: وإذا رأيتها من غيرى فقد كفرتنى حق الكفر.

فالخلق آلات فى بعض الأوقات لأن الحق تارة يخلق شيئا ويفعل به، وتارة يفعل بقوله : (كن) بغير واسطة آلة، فجميع ما تراه من المفعولات فعل واحد سواء كان بواسطة آلة كأن يخلق إنسانا ثم يقتل بيده أحداً فذلك الإنسان آلة للقتل، كما أن السيف مثلا آلة لذلك الإنسان فى ذلك القتل وقد أوضح ذلك فى كتابه العزيز فقال: (فلم

(١) النحل : ٥٣.

تقتلوهم ولكن الله قتلهم)[1] يعنى بأيديكم(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)[1] يعنى بيدك ، فجعلنا له كالآلة لنا، وها هو نسب التعذيب له فقال:

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم)[2]

فبين بهذه الآية معنى نسبة الفعل إلى السبب كونه آلة والله هو الفاعل به.

قال- صلى الله عليه وآله وسلم- :(إنما أنا قاسم والله المعطى) . يعنى بيدى.

(١) الأنفال : ١٧.

(٢) التوبة : ١٤.

فقد كشف لك عن الأمر كما ينبغى إن كنت تبصر، وإلا فالشمس طالعة غاربة ، ولا يبصرها الأعمى ، ولا يقدح ذلك فى كونها موجودة مشرقا نورها فى العالم:

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وإذا كان هو لا يبصر فالخلل فيه هو لا فى وجود الشمس، فإن قال: أرونيها، قيل له : هات لك بصراً ونحن نريكها ولا بصر إلا التقوى : (واتقوا الله، ويعلمكم الله، والله بكل شئ عليم)[1] وإن قال : أئتونى بدليل على وجودها قيل له:

(١) البقرة : ٢٨٢.

وليس يصح فى الأذهان شئ

إذا احتاج النهار إلى دليل

فهذا ما كان من الله بواسطة، وأما ما كان بلا واسطة فهو معلوم حتى للكفار أن الله هو الفاعل له(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)[1] فهو بكلمة (كن) بالاتفاق.

فقد ظهر لك أن الأسباب والمسببات كلها مخلوقة لله تعالى، فبروز المسبب عن قول الحق بالسبب: كن، لا عن السبب ، فضرب الحق للمقتول بيد القاتل مع إرادة القتل هو قول الحق للمقتول: كن ميتا، وهكذا سائر وقع الأسباب على الأسباب

(١) الزمر : ٣٨.

حتى تنشأ عنها مسببات، وإذا أراد وقوع السبب وعدم بروز المسبب عنه لم يبرز، فالخلق كلهم الآدميون وغيرهم ليس من أنفسهم حركة ولا سكون ولا فاعلية، وليست الفاعلية إلا لله وحده بالإرادة.

بيان حال من يطمع فى الخلق

فمن طمع فى أحد وجعل يتملق له كمن طمع فى حجر وجعل يتملق له ويخضع، كلاهما واحد فى خراب العقل وعدم التمييز، وهل يشك أحد فى خراب عقل من جعل يتملق فى حجر أو مدر أو شجر ويرجو منه نفعا أو ضرا؟ هكذا الخلق كلهم حجارة، وما بعد هذا المثال من بيان،

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. فإنه يهدى بالإرادة لا بالبيان، كما قال الله سبحانه: (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء)[1] وقال: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) إلى قوله: (إلا أن يشاء الله)[2] فالرسل المراد منهم إبلاغ الحجة، والهدى بيد الله - سبحانه - (ليس عليك هداهم)[3]، (فما أرسلناك عليهم حفيظا، أن عليك إلا البلاغ)[4] فإنما عليه ما حمل، يعنى التبليغ لا غير.

---

(١) النور : ٤٦.

(٢) الأنعام : ١١١.

(٣) البقرة : ٢٧٢.

(٤) الشورى : ٤٨.

فانظروا رحمكم الله هذه النملة أين بلغت من اليقين بربها ، حتى فضحت كثيرا ممن يدعى العلم ، فضلا عن غيرهم، فإنها نملة ضعيفة محتاجة، وهو نبى الله سليمان الذى أوتى ملكا لا ينبغى لأحد من بعد، قطعت طعمها منه، فكيف بمن إذا قال له واحد من الأمراء ممن يملك قطعة من الأرض يسيرة: سلنى ما شئت أعطك إياه انبسط واتسع فيه، واعتقد أنه يقدر على ذلك ، ووثق به وعول عليه ، ورأى أنه أكرمه غاية الإكرام، أفتكون النملة أوثق برزقها من مؤمن؟ أف لمن كانت النملة أوثق برزقها منه، فأين الإيمان، اللهم اردد علينا عقولنا من عروجها فى سماء الغفلة حتى نميز بها ما يرضيك فنأتيه ، ولا نعول على غيرك فى رزق ولا غيره.

بيان حال السعداء

فالسعيد الموفق من اشتغل بما خلقه ربه له (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[١] فاكتفى بما ضمن له سبحانه بقوله: (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[٢] أى ما أريد منهم أن يطعموا أنفسهم ، فجعل إطعامهم لأنفسهم إطعامه سبحانه ، كقوله: جعت فلم تطعمنى، وانظر كم أكد الرزق بتوكيدات، والرزاق

---

(١) الذاريات : ٥٦.

(٢) الذاريات : ٥٧، ٥٨.

فعال بصيغة المبالغة، وذو القوة: أتى بـ(ذو) التى هى بمعنى صاحب، أى الذى لا تنفك قوته، (والمتين) : يعنى العظيم، هذا كله لنطمئن به ونسكن من حركة الاهتمام بالرزق.

ثم قال بعدها فى حق من لا يطمئن بوعد الله المشتغل بما ضمنه له عما خلق لأجله(**فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون**)[1] وأى ظالم أكبر ممن ظلم المقام الإلهى، فلم يوفه حقه من التصديق وبات يتهم ربه بعد أن أقسم له بقوله: (**فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم**

(١) الذاريات : ٥٩.

تنطقون)[1] وسماهم كافرين، لأنه قال: (**والكافرون هم الظالمون**)[2]وقد كفروا جميع ما أنعم الله عليهم به إذ الكفر يطلق على الستر (**كمثل غيث أعجب الكفار نباته**)[3].

بيان نعم الله - تعالى - على خلقه

والكفار هم الذين يكفرون الحب، أى يدفنونه، هؤلاء دفنوا جميع نعم الله التى عليهم وأظهروا ضدها ، لأن الإنسان كفور، فإنهم لم يروا النعمة إلا كثرة العروض، وكون أحدهم خياله

(١) الذاريات : ٢٣.

(٢) البقرة : ٢٥٤.

(٣) الحديد : ٢٠.

مليح بين الناس بخروق ونحوها، ونسى نعمة العافية التى هى أم النعم ، فإنه لو كانت عنده الدنيا كلها من جبل قاف إلى جبل قاف مآكل ومشارب ومناكح وملابس ومراكب وفقد العافية صار ذلك كله عنده أمر من كل صبر.

وهذه الجوارح التى أنعم الله عليه بها من سمع وبصر ولسان ويد ورجل ونحوها لو قيل له: تبيع جارحة منها بملء الدنيا ما باعها، ورضى أن يرعى الحشيش مع الدواب فى الخلا وهو صحيح الأعضاء معافى.

ولا تسأل عن نعمة العقل التى بها يميز جميع النعم ويعرف بها ربه ، ويميز بها الشرائع التى يعامل بها الله فيحوز رضوانه الأكبر، فإنه لا يبيعها بملء ما بين السماء والأرض من قاف إلى

قاف مائة ألف مرة وأكثر؛ لأنه حينئذ هو والبهيمة واحد لا يميز بين أمه وأخته وبنته وزوجته، ولا يعرف حقا من باطل، فانظر ما أعظم ملك كل واحد منا وهو لم يشكره ويرى أنه أفقر الفقراء.

ولا تسأل عن نعمة الإيمان وكونه من أمة سيد الأولين والآخرين فما أعظم كفران الإنسان .

وأى ملك له هذا الذى أثنى الله بمثله على بنى إسرائيل على لسان موسى- عليه السلام- فقال: (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا)[1] وما ثمرة حكايته لنا ذلك فى كتابنا وبنو إسرئيل قد درجوا وانقضت شرائعهم بانقضائهم إلا لنقوم بالشكر على

(١) المائدة : ٢٠.

ما نحن فيه إذا كنا نعقل، وإذا كنا بلداء ليس عندنا أدنى فهم ولا عقل نميز به فمع من يتكلم الحق؟ مع الجمادات؟ اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا أرحم الراحمين فإنه لاحول ولا قوة إلا بك .

فنحن مغمورن فى النعم أكثر من غمر الحوت فى البحر، وغافلون عن هذا كله (إن الإنسان لكفور)[1] وأكثرنا مخاصم لله عز وجل لم لم يعطه ما يشغله به عن طاعته والاشتغال به ويجعله كالذين قال فيهم: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى

---

(١) الحج : ٦٦.

الحياة الدنيا)[1] وأى عذاب أكبر من الاشتغال بغير الله ، نعوذ بالله من مكره .

فمثل هذا الذى هو غير راض بتدبير سيده لو وجد قدرة على قتال ربه ورفع يده عن هذا التدبير الذى دبره به من ألم الفقر والمرض ونحوها فعل ، ولكن لم يجد فهو ساكت قهرا عليه فهو صادق عليه قول الله عز وجل : (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)[2] ولم يتفطن لذلك لأن بصيرته عميت بكثرة خصومته مع الله فلا يبصر الحق

---

(١) التوبة : ٥٥ .

(٢) يس : ٧٧ .

ليأتيه ولا الباطل ليتقيه و(زين له سوء عمله)[1] نعوذ بالله، اللهم انا نسألك توبة تردنا بها اليك حتى نلقاك راضين بك ربا..آمين.

حول معنى (إن الإنسان كفور)

وقوله سبحانه:(إن الإنسان لكفور) هو قوله: (إن الإنسان لربه لكنود)[2] لأن الكنود فسر بأنه الذى يعد المصائب وهو نسيان النعم مع أن المصائب قد تكون سبب سعادته عند ربه (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير

(١) محمد : ١٤.
(٢) العاديات : ٦.

لكم)[1] فالمؤمن الكامل لا يرى من الله الا الخيرفى الجميع، وهى كذلك فى نفس الأمر كلها خير، وقد وصف الله المتقين الذين هم أحباؤه بذلك فقال: (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم) من الأحكام الكونية والشرعية(قالوا خيرا)[2] فكل ما نزل بالعبد مما يلائم وما لا يلائم العافية والمرض، والشبع والجوع، والرى والعطش، والأمن والخوف ونحوها من جميع ما يحدث فى الوجود منزل من الله، وكلها خير فى نظر المتقين. قيل لبعض الصالحين: ان الأمراء ظلموا وفعلوا

(١) البقرة : ٢١٦
(٢) النحل : ٣٠.

وتركوا، فقال: قالت الملائكة : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)[1]؟ قال الله: (إنى أعلم ما لا تعلمون)[2].

المؤمن همه الإقبال على ربه

فمن ملأ قلبه بالهموم والغموم من أجل ما فيه الناس أضاع نفسه وخسر عمره ولم يدفع عن ذلك شيئا، ولم ينفع أحدا، فيضر نفسه ويضيع حظه من امتلاء قلبه بعظمة ربه، واستحضار الشرور فى قلبه بدل استحضار ذكر الله عز وجل، ومن أقبل على ربه واستغرق فيه وغاب عما هم فيه

---

(١)،(٢) البقرة : ٣٠

نفع نفسه ونفعهم أيضا ؛ لأنه يصير من الذين يدفع الله بهم البلاء، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (إنَّ الله ليغضب على العباد حتى اذا لم يبق الا نزول البلاء عليهم نظر الى حملة القرآن فأنزل رضاه) وحملته هم الواقفون مع حدوده، وأما المضيعون له فويل لهم مما حفظوا وويل لهم مما ضيعوا فوعدهم بولين.

فمن كان مقبلا على ربه فى السراء والضراء وفى حال نزول البلاء بالعباد فذلك الذى لا تضره الفتنة ، وهو الذى فهم معنى قول الله عز وجل: (فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم

يتضرعون) أى إلى الله (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا)[١] يعنى لنفعهم ذلك، فالذى يتعرف الى الله فى الرخاء يعرفه فى الشدة، قال الله عز وجل فى حق يونس عليه السلام: (فلولا أنه كان من المسبحين. للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون)[٢] يعنى لولا أنه كان قبل التقام الحوت له مسبحا للبث فى بطنه أى لصار ذلك قبره، فالتضرع الذى ينفع العبد عند نزول البلاء به هو تضرعه سابقا الى ربه وفراره اليه حين يفر غيره منه، وهى البلايا من البأساء والضراء تنزل

---

(١) الأنعام : ٤٢ ، ٤٣

(٢) الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤

بالعبد لترده الى عبوديته وتقرره الى سيده لا غير. فالحق يحسن للعبد بأنواع الإحسان والإساءة أيضا كما قال سبحانه: (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا)[١] فإذا لم يفهم ولم يرجع لا بهذا ولا بهذا أخذه حين لم يبق فى رجوعه مطمع كما قال :(فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون)[١] فقول الله عز وجل: (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)[٢] شامل للحسنات والسيئات يعنى بمعنى ما يستحسنونه وما يسوءهم، وشامل للحسنات

---

(١) الأعراف : ٩٥ .

(٢) الأعراف : ١٦٨.

والسيئات، بمعنى ما يترتب عليه الثواب والعقاب فان الله يبتلى العبد بالحسنة حتى ينظر هل يرى الحسنة من الله فانها أكبر نعمة (وما بكم من نعمة فمن الله)[1] ومتى رآها من نفسه فقد افترى على الكذب وصار من الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فإن الفاعل للحسنة هو الله وهو يتمدح بها، وإذا كان إنسان يقول: فلان عنده كذا وكذا على أنه يفتخر بذلك فهل عنده من العقل شئ؟ هكذا من يتمدح بفعل حسنة وهو لم يعملها (والله خلقكم وما تعملون)[2].

(١) النحل :٥٣.
(٢) الصافات : ٩٦.

الحكمة فى ابتلاء العبد بالسيئة

وإن الله يبتلى العبد بالسيئة لينظر هل يفر إلى ربه ويفزع إليه فى غفرانها أو يقنط بها من رحمة ربه ويرى أنه لا يغفر له فيستعظم ذنبه فى جنب كرم الله فيهلك، وفى الحديث القدسى : (لو كنت معجلا لعقوبة أوكانت العجلة من شأنى لعجلتها للقانطين من رحمتى، يذنب أحدهم الذنب فيستعظمه فى جنب عفوى).

والذى هو عبد الله عز وجل خالص لا يقف مع هذه ولامع هذه، لايرجو إحسان نفسه ولا تؤيسه إساءة، فلو قتل الناس كلهم وفيهم الأنبياء ما قنطه ذلك من رحمة ربه، ولو عمل أمثال الجبال حسنات ما رجاها ، ولا يرجو إلا ربه، فلا يصده

عن ربه صاد ، ولا يعلق قلبه بغيره، ولا يفتنه عنه حور ولا قصور ولا غيرهما من النعيم الدائم، ولا يشغله عنه خوف سقر ولا جحيم نار، كل ذلك بمحبة سيده أصم أعمى عن غيرمحبوبه كما قال عليه السلام: (حبك الشىء يعمى ويصم)[1]، فلا يعظم فى قلبه غيره، ولا يكبر فى عينه سواه، ولاشك أنه إذا كان هكذا نجا من كل سوء فى الدنيا والآخرة وإذا كبر غير ربه فى قلبه وعظم لاحظه وصار يعمل له فما يلاحظ الخلق ويعمل من أجلهم إلا لكونهم أعظم فى قلبه من الله، والجنة من

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل وغيره عن أبىالدرداء، ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بالحسن.

جملة ذلك والنار من جملة ذلك لأنهما خلق من خلقه.

فلو عرف الناس الحق ما ألتفتوا إلى غيره فاللذة بالحق تمرر عند صاحبها جميع اللذات الدنيوية والآخروية، من حور وقصور وأشجار وأنهار وغير ذلك، قال- صلى الله عليه وآله وسلم- : (ما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم) .

أذاقنا الله وإياكم حلاوة النظر إلى وجهه الكريم آمين آمين.

بيان حال المحب لله - تعالى -

وإذا كان الحق حبيبه أحب كل شئ فى

الوجود لكونه من حبيبه ، فمن عرف أن الضاربة له يد حبيبه قبلها ظهراً لبطن :

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا
رأيت جميع الكائنات ملاحا

فالذى لم يعرف العبد حقيقة الخير فيه يقلد فيه الله الذى يعلم ، وقد قال الله سبحانه: (صنع الله الذى أتقن كل شئ)[1] فشهد أن كل شئ متقن، فالطويل ذلك غاية إتقانه، والقصير ذلك غاية إتقانه، وكذلك غيرهما، فمن استقبح شيئا منها أو استقذره فقد كذب الله فى قوله: (الذى أتقن كل شئ)[2] قال سبحانه:

---

(١) النمل : ٨٨.

(٢) النمل : ٨٨.

(الذى أحسن كل شئ خلقه)[1]

وقال عليه الصلاة والسلام : (كل خلق الله تعالى حسن).

* * *

حكاية لطيفة:

كان رجل من البدو كلما أخبر بشئ قال: خير، لم يسمع منه إلا قول (خير) فاجتمع كبار عشيرته يوما وأوصوا رعاة الإبل فقالوا لهم : إذا رحتم اليوم فى المساء اعقلوا إبل عمكم فلان وراء الجبل كلها ولا تأتوا منها ببعير واحد لاهى ولا أولادها، وتعالوا بالإبل الأخرى إلى المراح فغدوا سارحين ، فلما راحوا فى العشى فعلوا كما أمروا

---

(١) السجدة : ٧.

فقيل : يا فلان الإبل كلها جاءت إلا إبلك، فقال على عادته: خيرا. فباتوا تلك الليلة فاتفق أن صبحهم العدو فى مراحهم صبيحة تلك الليلة وأخذوا جميع الابل ، فما سلمت إلا إبله التى عقلوها له هم بأنفسهم.

فانظر لما كان لا يرى من الله إلا خيرا لم يره الله منه إلا خيرا، وقد قال الله فى الحديث القدسى: (**أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء**) فالله سبحانه وتعالى يجعلنا ممن يحسن ظنه بربه ، ولا نكون من الظانين ظن السوء فى جميع ما أنزل بعباده كهذه الفتن الواقعة فى زماننا هذا الدينية والدنيوية فكلها المقصود فيها الفرار الى الله ، وهى من جملة البأساء والضراء ،

وهى تقول: ففروا الى الله لكونه أهلاً أن يفر اليه من كل شىء ، لا لأجل النجاة فقط فيكون الفرار معلولا فهو منجيكم بلا شك فإنه قال: (**ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه**)[1] (**نجينا صالحا والذين آمنوا معه**)[2] إلى آخر ما ذكر فى الرسل ومن معهم. فأنتم اعملوا لوجهه وهو لايقصر فيما وعد به، والفار من شئ يفرغ وسعه فى الهروب منه وإلا أدركه، وقد ذكر صفة الفرار بقوله: (**كأنهم**

---

(١) هود: ٥٨.

(٢) هود : ٦٦.

حمر مستنفرة، فرت من قسورة)[1]
والقسورة أنثى الأسد والذكر قسور فأنثاه عند
اشبالها أشد من ذكره.

بيان حال من فر إلى الله تعالى

فمن فر مما سوى الله إلى الله هكذا نجا لا
محالة ، ولاتضره الفتن التى الناس فيها، بل يخرج
بدينه سالما منها، ومن كانت هكذا صفته فهو ولى
الله كما قال - رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم - فيما رواه عنه ابن عمر- رضى الله تعالى
عنهما- أن عمرخرج إلى المسجد فوجد معاذا يبكى
عند قبر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

---

(١) المدثر : ٥٠ ، ٥١ .

قال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله-
صلى الله عليه وآله وسلم - قال: (اليسير من
الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله تعالى
فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب
الأبرار الأتقياء الذين إن غابوا لم
يفقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم
مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء
مظلمة). ففسر قوله: (إن الله يحب
الأبرار. الخ) بأولياء الله الذين من عاداهم فقد
حارب الله. والغبراء المظلمة هى الفتنة. فأكثر
الناس فى كل وقت فيما هم فيه من الشر، وأولياء
الله فيما هم فيه من الاشتغال بالله الذى هو نهاية

الخير، وقد علموا أن ما فيه الناس هو مراد الحق منهم فى ذلك الوقت.

التسليم لله تعالى فيما أراده بخلقه

قال بعض الأولياء لبعض: ما مراد الله من خلقه؟ قال: ما هم عليه، يعنى (إن ربك فعال لما يريد)[1] وقد قدمنا أن الله أنزل ذلك ابتلاء وتقريراً إليه وهو ناظر كيف يعمل العبد، وهذا حال الزمان قديما وحديثا،المحسن فى إحسانه والمسئ فى إساءته من عهد أول رسول إلى آخر الدهر.

قيل لبعض العلماء بالمغرب: الزمان قد فسد، قال: متى كان الزمان صالحا؟ حين كان

(١) هود : ١٠٧.

الخليل يوما فى النار؟ أو حين كان زكريا ينشر بالمنشار؟ أوحين شج رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وكسر رباعيته الكفار؟ أوحين كان رأس الحسين يطاف به فى الأقطار؟ يعنى الزمان صلاحه صلاح أهله، وفساده فساد أهله، وهم قسمان فى كل آن.

فالمشغول بالله تعالى عن الاهتمام بشأن العباد وفتنتهم لا يقول له الحق: لم لم تترك الاشتغال بى؟ والمشغول بالخلق وأحوالهم الخيرية فضلا عن الشرية غافل عن الله، إذليس له قلبان واحد يشغله بالله وواحد يشغله بالخلق (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه)[1]

(١) الأحزاب : ٤٠.

ولابد أن يسأله الحق ويقول: قلت لك: (ولا تكن من الغافلين)[1] ماذا عملت فيما قلت لك: فأى جواب عنده لربه فهو هالك إلا أن يرحم الله، والكامل من الرجال من كان متبعا للرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- فى جميع الأقوال والأفعال ، لا يأمر بشئ إلا وهو أسبق الناس إليه، ولا ينهى عن شئ إلا وهو أبعد الناس عنه، رحمة للعالمين، عفو عنهم فيما صدر منهم إليه، راجع إلى الله فى جميع الأحوال.

وفى هذا القدر كفاية لمن هداه الله سبحانه سواء السبيل، ونسأل الله سبحانه أن يحسن أدبنا معه، وأن يجعلنا راضين بربوبيته عنه فى جميع

---

(١) الأعراف : ٢٠٥

أحكامه، وأن يفهمنا فيها أسرار حكمته البالغة، وأن يطهرنا من شوائب الاعتراض عليه والنزاع معه حتى لا نستهى إلا ما قضاه. آمين آمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

(انتهت رسالة كيمياء اليقين والحمد لله رب العالمين).

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

فهرس

الموضوع	الصفحة